الشماخ بن ضرار

المقدمة الموسيقية..

المقدمة الغنائية..

أبو الفرج: هو فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سلام الشماخ بن ضرار وأمه أغارية من بنات الخر شب ويقال: إنّهن أنجب نساء العرب واسمها معاذة بنت بجير والشماخ مخضرم فمن أدرك الجاهلية والإسلام وهو أحد من هجا عشيرته وهجا أضيافه ومن عليهم بالقرى.

معاذة: إلى أين يا مزرد؟

مزرد: إلى البادية.

معاذة: وهل تأمن علينا غدرات الأيام بعد أن بعد عنا من أخويك جزء والشماخ؟

مزرد: ومن الذي تخافينه بعد اليوم يا معاذة؟

معاذة: يا بني! لعلك نسيت أنّك وأخويك قد أثرتم أحقاد القبائل وعصبيات العشائر ضدكم لقد أصبح بنو بغيض بسببكم أبغض الخلق إلى العرب.

مزرد: وماذا يضيرك يا أمي أن تبغضك العرب كلها حين يهابني شاعر ككعب بن زهير؟

معاذة: ماذا؟ تقول: كعب بن زهير؟

مزرد: أي والله يا أمي كان كعب فيما مضى لا يهابني أبداً كان يقذفني بأسوأ وأغلظ ما عنده من الهجاء لكنه اليوم قد تغير..لقد أصبح يهابني جداً لا هزل فيه.

حصان يقترب من بعيد..

معاذة: أنظر..هذا فارس قادم نحونا آت من صحراء البادية.

يقترب الحصان أكثر فأكثر..

مزرد: أنظري جيداً..إنّه أخي الشماخ..وهو يردف شخصاً وراءه..أرجو ألا يكون امرأة من النساء..

يقترب الحصان ثم يتوقف..

معاذة: الحمد لله..إنّه أخوك الآخر جزء بن ضرار.

الشماخ: نعمت صباحاً يا أمي.

معاذة: نعم صباحكما معاً..جزء وأنت..

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

الشماخ: ألا أجزىء عن كل من جزء ومزرد؟

مزرد: تصور يا شماخ أن أمك تتهمنا بتعريضها لشعراء العرب.

معاذة: طبعاً يا ولدي..هناك الخطيئة وكعب بن زهير وغيرهما كثير.

الشماخ: " يضحك "كلا يا معاذة..لا تخافي أبداً.

معاذة: فما يؤمنّني يا بني؟

الشماخ: إنّك ربطت بباب بيتك جراء هراش لا يجترىء أحد عليهم.

معاذة: ها ها..أمن أجل ذلك أصبح كعب يهاب أخاك مزرداً؟

الشماخ: ربما..لكن الجرو الذي يخيفه حقاً هو الشماخ نفسه..

معاذة: صدقت يا بني..

أبو الفرج: أما جزء بن ضرار فهو الذي يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شعر جاء فيه:

عليك سلام من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

ويروي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ رجلاً نزل حيث كان ينزل عمر من الحضبة فأناخ في منزله ثم رفع عقيرته يتغنى:

جزى الله خيرا من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: إعلموا لي علم هذا الرجل فذهبوا فلم يجدو في مناخه أحداً قالت: فوالله إني لأحسبه من الجن..

عزف موسيقي..رجل يتغنى حزينا..

أَبَعدَ قَتيلٍ بِالمَدينَةِ أَظلَمَت

لَهُ الأَرضُ تَهتَزُّ العَضاهُ بِأَسوُقِ

عَلَيكَ سَلامٌ مِن أَميرٍ وَبارَكَت

يَدُ اللَهِ في ذاكَ الأَديمِ المُمَزَّقِ

فَمَن يَجرِ أَو يَرَكَب جَناحَي نَعامَةٍ

لِيُدرِكَ ما قَدَّمتَ بِالأَمسِ يُسبَقُ

قَضَيتَ أُموراً ثُمَّ غادَرتَ بَعدَها

نَوافِجَ في أَكمامِها لَم تُفَتَّقِ

وَما كُنتُ أَخشى أَن تَكونَ وَفاتُهُ

بِكَفَّي سَبَنتى أَزرَقِ العَينِ مُطرِقِ

معاذة: أسمعت يا بني؟

الشماخ: بلى..قد سمعت..إنّه يتغنى بحزن ظاهر..وقد قتل عمر رضي الله عنه بيد ظالمة..

معاذة: هل صحيح يا بني ما يقال من أنّ الجن هي التي ناحت على عمر بهذا الشعر قبل أن يقتل بثلاثة أعوام..

مزرد: " يضحك ".

معاذة: لماذا تضحك يا مزرد؟ ألا تستحي يا ابن ضرار؟

الشماخ: ولماذا لا يضحك يا أمي وأنت ترددين مثل هذا الزعم؟

معاذة: لكن هذا ما يرويه الرواة..

مزرد: أكل ما يرويه الرواة تصدقينه؟

معاذة: يا بني..إنّه مروي عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

الشماخ: ومن قال لك أنّ الذين ينسبون إليها هذه الرواية هم رجال صادقون؟

معاذة: أو يكذبون على لسان السيدة عائشة؟

الشماخ: هو هو..الوضاعون المتقولون كثيرون..بل هناك من يضع الأحاديث وينسبها الى النبي المصطفى عليه السلام..

مزرد: أظن أنّك تعرفين الآن سبب سخريتنا بمثل هذه الروايات؟

معاذة: حسن..يا شماخ..فمن هو قائل هذا الشعر.

الشماخ: إحزري يا معاذة من عساه يقول هذا القول؟

معاذة: وما يدريني؟

الشماخ: قل لها يا مزرد.

مزرد: إنّه أخي جزء بن ضرار..

معاذة: وهل أنتما جادان فيما تقولان؟

الشماخ: لا دين ولا كذب..

مزرد: ولا سخرية ولا هزل..إنّ جزء أخي هو الذي رثى أمير المؤمنين بعد مقتله..أما ما ينسب إلى الجن من الشعر فهو خرافة لأنّ أحداً منا لا يعرف لغة الجن ولم يسمع جنياً يتكلم..

معاذة: حسن يا شماخ..فأخبرني إذاً لماذا يكرهكم الشعراء ويكرهونك أنت بالذات؟

الشماخ: بل قولي لماذا يخافونك؟ إنّ كراهيتهم نابعة من الخوف لا من الإحتقار والإزدراء وشتان ما بينهما كما تعلمين..

مزرد: هل أقول لك ما هو أفصح من هذا وأبين؟

معاذة: طبعاً يا بني..

مزرد: أنت تعلمين من هو الخطيئة بين شعراء العرب.

معاذة: أعلم تماماً يا مزرد.

مزرد: اذاً أخبرك بهذه المناسبة أنّ الخطيئة قد قال في وصيته: بلغوا الشماخ أنّه أشعر غطفان..

الشماخ: ولا تنسي يا أمي أنّ ولدك الشماخ هو أوصف الشعراء للقوس والحمار وأرجز الناس على البديهة..

أبو الفرج: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي عن أبن الكلبي قال: أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعر الشماخ في صفة الحمير فقال: ما أرصفه لها! إنّي لأحسب أنّ أحد أبويه كان حماراً..وكانت عند الشماخ امرأة من بني سلم فنازعته وأدعته طلاقاً وحضر معها قومها فاختصموا الى كثير من الصلت وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه أقعده للنظر بين الناس كما قدم أناس من بهز يستعدون كثيراً عليه فالتوى الشماخ باليمين ثم حلف.

زوجة الشماخ: والله ما عدت إليك.

الشماخ: بل أنت عائدة..

الزوجة: وما عساك تفعل إن لم أعد؟ لقد طلقتني فليس لك إلى سبيل..

الشماخ: أنا ما طلقتك.

الزوجة: بل طلقت وخاصمت وأسأت إلي..

الشماخ: إذاً فأنت مصرة على المنازعة..

الزوجة: ولا عودة عنها..

الشماخ: أخزِ الشيطان يا امرأة..

الزوجة: والله لا أفعل..

الشماخ: والله تفعلين..

الزوجة: هذا فراق بيني وبينك ولن ألتقيك إلا عند كثير من الصلت.

الشماخ: اذاً لتكن الخصومة خصومة جادة..

الزوجة: وماذا تقصد بذلك؟

الشماخ: أسيء إليك حقاً وأضربك وأكسر شيئاً في جسدك.

الزوجة: وهل تفعلها؟

الشماخ: خذيها ضربات نافذة " يضربها بالعصا فيكسر يدها وتصرخ ثم يعود الصمت "..

نقلة موسيقية..

الزوجة: " وكأنّها تتابع حديثها " وهكذا ترى يا كثير أنّه لم يعد بيني وبينه سبيل للمراجعة..

كثير: تعال يا ابن ضرار.

الشماخ: نعم يا كثير..

كثير: زوجتك تقول: إنّك أسأت إليها وضربتها وكسرت يدها.

الشماخ: إنّها يا كثير امرأة وقاح..وهي التي كسرت يدها حين انزلقت فتعثرت بها قدماها..

كثير: فماذا تقولين يا امرأة؟

الزوجة: إنّه كاذب..وهذه هي البينة..الكسر الذي أريتك إياه.

كثير: أو تحلف يا شماخ أنّك لم تسيء إليها ولم تكسر يدها؟

الشماخ: أحلف..

ترتفع ضجة أناس كثيرين..أصوات غير واضحة.

كثير: اسمعوا يا بني بهز..لقد عرفت شكواكم ولا ضرورة للإعادة.." تستمر الضجة يصرخ " لن أحكم بينكم حتى تسكتوا " يعود الصمت " ثم يلتفت إلى الشماخ..فماذا تقول فيما يزعمه بهز المدينة من أنّك هجوتهم ونفيتهم..

الشماخ: وهذا غير صحيح أيضاً " ترتفع دمدمة احتجاج "..

كثير: أو تحلف على هذا أيضاً؟

الشماخ: نعم..أحلف.

كثير: حسن..فقد أمرني أمير المؤمنين بأن أستحلفك على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ما هجوتهم وما أسأت إلى زوجتك وضربتها " فترة صمت ثم بصوت منخفض " ويلك يا شماخ إنّك لتحلف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم..ومن حلف به آثما يتبوأ مقعده من النار..

الشماخ: " بصوت منخفض نسبياً " فكيف أفعل فداؤك أبي وأمي؟

كثير: " بعد تفكير " اسمع يا ابن ضرار..إنّي سوف أحلفك ما هجوتهم فأقلب الكلام عليّ وعلى ناحيتي فقل: والله ما هجوتهم فأردني وناحيتي بذلك وإنّي سأدفع عنك.

الشماخ: أفعل إن شاء الله..

كثير: " يرفع صوته " إحلف يا شماخ إنّك ما هجوتهم..

الشماخ: و الله العظيم ونبيه الكريم ما هجوتكم.

صوت: والله ما عنى غيرك يا كثير فأعد اليمين عليه " ترتفع دمدمة الاحتجاج "..

كثير: " يصرخ" اسمعوا أيها الناس..لماذا أتأوله؟ وهل استحلفته إلا لكم؟ وما اليمين إلا مرة واحدة الحلف مقبول يا شماخ " دمدمة احتجاج ثم ينخفض الصوت شيئاً فشيئاً "

الزوجة: ألم يأت دوري يا كثير؟

كثير: بلى يا بنت سلم..لقد جاء دورك: " يلتفت إلى الشماخ " هل تحلف أنّك لم تنازع زوجتك ولم تسيء إليها ولم تكسر يدها.

الشماخ: والله العظيم لم أفعل هذا..

نقلة موسيقية..عزف موسيقي..رجل يغني..

أسعداني بعبرة أسراب ... من دموع كثيرة التسكاب

إن أهل الحصاب قد تركوني ... موزعا مولعا بأهل الحصاب

كم بذاك الحجون من حي صدق ... وكهول أعفة وشباب

فارقوني، وقد علمت يقينا ... ما لمن ذاق ميتة من إياب

فلى الويل بعدهم وعليهم ... صرت فردا، وملني أصحابي

معاذة: هل أعجبك هذا الصوت يا بني؟

الشماخ: ولماذا لا يعجبني يا أمي وهو يحكي حكايتي؟

معاذة: اذاً فقد أنتهى ما بينك وبين زوجتك؟

الشماخ: كما أنتهى ما بيني وبين بنهز المدينة أيضاً.

معاذة: وكيف سللت نفسك؟

مزرد: وهل يحتاج أخي الشماخ إلى من يعلمه كيف يسل نفسه؟ أنا أقول لك..

معاذة: لماذا تدخل بيني وبين أخيك؟

مزرد: لأنّه يا أمي خير من يدفع عنا هراش الجراء من الشعراء..

الشماخ: دعيه يقول لك ما عنده.

معاذة: فماذا أنت قائل يا مزرد؟

مزرد: لقد استعان على الجميع بكثير من الصلت وذكر هذا في شعره قال:

تمسّح حولي بالبقيع سبالها أتتني سليم قضّها بقضيضها

يقولون لي احلف قلت لست بحالف أخادعهم عنها لعلّي أنالها

كظهر الجواد يردّ عنها جلالها ففرّجت غمّ الموت عني بحلفة

معاذة: أو قد حصل هذا يا بني؟

الشماخ: نعم..لقد حصل فعلاً..وحلفت فعلاً لبني سليم حين جاؤوني يطلبونيي بظلامة صاحبتهم وقلت فيما قلت أيضا:

ألا أصبحت عرسي من البيت جامحا بغير بلاء أيّ أمر بدا لها

سترجع غضبى رثّة الحال عندنا كما قطعت منّا بليل وصالها

أبو الفرج: قال ابن الكلبي كان الشماخ يهوي امرأة من قومه يقال لها كلبة بنت جوال أخت جبل بن جوال الشاعر وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر فخطبها فاجابته وهمت أن تتزوجه ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جزء بن ضرار فآلى الشماخ ألا يكلمه أبدا وهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

لنا صاحب قد خان من أجل نظرة سقيم الفؤاد حب كلبة شاغله

فماتا متهاجرين

عزف موسيقي..فتاة تغني..

إِذا خَدِرَت رِجلي تَذَكَّرتُ مَن لَها

فَنادَيتُ لُبنى بِاسمِها وَدَعَوتُ

دَعَوتُ الَّتي لَو أَنَّ نَفسي تُطيعُني

لَفارَقتُها مِن حُبِّها وَقَضَيتُ
بَرَت نَبلَها لِلصيدِ لُبنى وَرَيَّشَت
وَرَيَّشتُ أُخرى مِثلُها وَبَرَيتُ
فَلَمّا رَمَتني أَقصَدَتني بِسَهمِها
وَأَخطَأَتُها بِالسَهمِ حينَ رَميتُ
فَيا لَيتَ أَنّي مِتُّ قَبلَ فِراقِها
وَهَل تَرجِعَن فَوتَ القَضِيَّةِ لَيتُ

مزرد: أين جمع بك خيالك يا أخي " فترة صمت " ألا تجيب عن السؤال؟

الشماخ: ماذا عساي أقول لك؟

مزرد: أفكلما سمعت صوتاً يتحدث بلغة الحب زاغت عيناك وبعدت عن جلسائك؟

الشماخ: الذكريات مؤسية يا مزرد.

مزرد: أما تزال تذكر كلبة بنت جوال؟

الشماخ: لقد بعد عهدي بها كما تعلم..

مزرد: ويخيل إليّ أن الجراح لم تندمل بالرغم من ذلك..

الشماخ: لقد أنتهى كل شيء.

مزرد: لا شيء يدل إلى أنّ كل شيء قد انتهى عندك..ويدهشني منك أنّ وجهك يتغير حين يرد عليك ما يذكرك بأخيك جزء وقد مضى إلى ربه منذ شهور طويلة..

الشماخ: قلت لك: لقد انتهى كل شيء..

مزرد: حسن كما تشاء.." فترة صمت " هل تسمع مني يا شماخ؟

الشماخ: قل يا مزرد فأنت تعلم أنّك عندي مؤتمن.

مزرد: حدثني عن كلبة..فإنّي أعلم أنّ الحديث عن الحبيب يريح القلب.

الشماخ: وماذا عساي أقول لك؟

مزرد: أيّ شيء..

الشماخ: أعتقد أنّه قد سبق لي أن حدثتك حديثها في كل كبيرة وصغيرة.

مزرد: لكن الحديث عنها يحلو كلما كرر يا شماخ..

الشماخ: " بعد تردد: لست أدري كيف أبدأ الحديث عنها؟

مزرد: صفها لي..فإنّي أجد متعة في الاستماع إلى ما تقوله.

الشماخ: كانت يا مزرد برزة طوالاً بين النساء..في شعرها ظلام الليل وفي جبهتها ووجهها ضياء الشمس..وفي عينيها بياض شديد إلى سواد ظاهر..ذات لحظ فاتر تفتر عن أسنان كأنها صفان من اللؤلؤ..بعيدة مهوى القرطين إذا مشت تمشي الهوينا وإذا خطرت فكان قضيب من الخيزران..

مزرد: وأين رأيتها للمرة الأولى؟

الشماخ: في مرج أخضر نهار يوم من أيام الربيع وكانت قد خرجت مع نسوة من رفيقاتها ليبترون بماء الواحة وقد نظرن من حولهن فلم تقع أنظارهن على أحد من الرجال.

مزرد: وأين كنت أنت؟

الشماخ: كنت أقيل في دغل صغير قائم عند حافة الواحة بين أشجار من النخيل وقد استيقظت على صياحهن وضحكهن فرفعت رأسي فإذا بهن شبة عاريات يركضن ويلعبن وفي ظنهن أنّهن آمنات من فضول الغرباء.

مزرد: الموقف محرج حقاً..

الشماخ: ولذلك وجدت نفسي في حيرة شديدة لا أدري كيف أتصرف لقد خفت أن أتسلل فتراني إحداهن فتظن أنّني كنت أتلصص عليهن..وخفت أن أثبت في مكاني أيضاً للسبب نفسه.

مزرد: وكيف انتهى هذا الوضع؟

الشماخ: إخترت أخيراً أن أثبت في مكاني فلا أتحرك على أمل أن يمضي النهار كله ويأتي الليل فأحتمي بظلمته..ولم تكد الشمس تقترب من المغيب حتى هدأت حركتهن ولبس ثيابهن ثم رحن يركضن يتسابقن راكضات فتعثرت قدم واحدة منهن فصرخت فلم تسمع رفيقاتها نداءها..فانتظرت قليلاً ثم اقتربت منها متجهلاً وكأنّني لا أعلم بوجودها ثم تظاهرت أنّني فوجئت بها أمامي..

مزرد: " يضحك" ..

الشماخ: لماذا تضحك يا مزرد؟

مزرد: لأنّ قصة الحب قد بدأت من هناك..سارعت إلى مساعدتها فنفرت بادىء الأمر ثم هدأت شيئاً فشيئاً..وعقب ذلك سلام فكلام فنظرات ذات معنى ثم مواعدة على اللقاء أليس كذلك؟

الشماخ: كلا..لم يكن الأمر كذلك..إذ لم نتواعد على اللقاء.

مزرد: وكيف تلاقيتما من بعد؟

الشماخ: المصادفة هي التي خدمتني أيضاً..

مزرد: سبحان الله..وهل كانت مصادفة حقيقية أم كانت مصادفة محسوبة ظاهرية؟

الشماخ: المهم أنّها كانت مصادفة في كل ظروفها..وفي المرة الثانية تواعدنا على اللقاء..

مزرد: بالمناسبة يا شماخ..قيل لي: أنّها كانت فصيحة اللسان تروي الشعر وتنظمه..فهل هذا صحيح..؟

الشماخ: بلى يا مزرد..فقد كانت تروي الشعر وتنظمه..لكن ما الفائدة من إحياء الماضي..لقد مضى ولن يعود..

مزرد: كان عليك أن تتزوجها قبل أن تخرج للسفر..

الشماخ: وهل كان يدور في خلدي أنّ المصائر ستتغير وأن جزء سيقدم على تزوجها؟ إن أحداً لا يستطيع أن يغير ما كتب في اللوح المحفوظ..

مزرد: من أجل ذلك كان عليك ألا تغاضب أخاك ثم تهجره حتى وفاته..

الشماخ: هكذا قضت إرادة الله..

أبو الفرج: عن أبي غزية الأنصاري قال: كنت على باب المهدي يوما فخرج حاجبه فقال: أين ابن وأب؟ فقال: ها أنذا قال:أدخل، فدخل ثم خرج فجلس..فقلت: يا ابن وأب ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين؟ قال: قال: قال لي: أنشدني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب فأردت أن أنشده قول صاحبك أبي صرمه الأنصاري فتركته وقلت إنّ من أشعر ما قالت العرب قول الشماخ:

وأشعث قد قد السفار قميصه ... يجر شواء بالعصا غير منضج

دعوت إلى نا نابني فأجابني ... كريم من الفتيان غير مزلج

فتى يملأ الشيزى ويروي سنانه ... ويضرب في رأس الكمي المدجج

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة ... ولا في بيوت الحي بالمتولج

موسيقى نهاية..